دور مؤرخي الموصل في كتابة التأريخ المعاصر

الدكتورة كافي سلمان مراد الجادري
كلية التربية الاساسية / الجامعة المستنصرية

حركة كتابة التأريخ المعاصر في الموصل

- اهتمام سكان الموصل بالتأريخ

اسهمت الموصل منذ زمن مبكر في تطوير الكتابة التأريخية والعربية ، وقدمت انماطاً مختلفة من هذه الكتابات ، كما جاءت بعدد من المؤرخين الذين لايزالون يتمتعون بشهرة فائقة بين المؤرخين العرب ، حينما قامت النهضة العربية المعاصرة في القرن التاسع عشر ، وترددت اصدائها في الموصل ، كان الأهتمام بالتأريخ واضحاًمن ابرز مظاهرها ، وكان لتأسيس المدارس الحديثة في العقود الأخيرة من القرن التاسع عشر هي إدخال مادة دراسة التأريخ ضمن المناهج الدراسية أثر كبير في زيادة الاهتمام بالدراسات التأريخية . وقد أدى هذا التطور إلى أن تولد حاجتان اساسيتان أولاهما : ضرورة وجود ملاك متخصص بتدريس مادة التأريخ . وثانيهما ظهور الحاجة إلى تأليف كتب منهجية تناسب مراحل الدراسة ، وقد نص قانون إصلاح النظام التعليمي في الدولة الغثمانية الصدارة في أب ١٨٤٦م على أن يدرس التاريخ الثعماني إلى جانب التأريخ الأسلامي والتأريخ الأوربي .

كما أسهمت المدارس التبشرية في الموصل ،فضلاً عن المدارس الرسمية ، في تدريس مادة التأريخ . وانصرف عدد من مدرسيها إلى تأليف كتب منهجية . ويعد أغناطيوس إفرام رحماني (١٨٤٩-١٩٢٩) من أوائل الذين ألفواالكتب المنهجية .

وبعد الأنقلاب الدستوري العثماني ١٩٠٨ تبلور الوعي القومي العربي في الموصل، وكان لذلك تأثير كبير في حركة الأهتمام بالتاريخ وشاركت الصحافة الموصلية بذلك منذ نشأتها ، على سبيل المثال حرصت جريدة (النجاح) بعد صدور عددها الأول في الثاني عشر من تشرين الثاني ١٩١٠ ، على توجيه الأنظار إلى التأريخ العربي ، ودعت الشباب إلى قراءته والنظر فيه نظرة تدقيق وإمعان . ولم يقتصر الأمر على الصحف الموصلية ، بل كان للصحف البغدادية والمصرية والشامية وإطلاع المثقفين الموصليين عليها أثر كبير في زيادة الأتصال الثقافي ، وتعميق الوعي بأهميتة التاريخ عاملاً من عوامل النهضة القومية .

وخلال القرن التاسع عشر غدت الموصل مركز إستقطاب مهم لعلماء الأثار والرحالة الأوربيين وللمبشرين وللقناصل والدبلوماسيين ، وذلك لأهميتها الجغرافية والأقتصادية وكان من نتائج هذا الأهتمام تطور الدراسات التأريخية وبروز علم (الأشوريات)، وكان للأثار التي إكتشفت قرب مدينة الموصل موضوعاً لهذا العلم .

شهدت دراسة التأريخ نمواً ملحوظاً بعد تأسيس الحكومة العراقية سنة ١٩٢١ ، وفي عهد إدارة المفكروالمربي العربي ساطع الحصري (١٨٧٩-١٩٦٨) ، والذي كان احد رموز القومية العربية في العصر الحديث والذي اتخذ من مادة التاريخ هدفاً للتعليم الوطني في العراق والممتدة من ١٩٢٢-١٩٢٧ ولتقوية الشعور الوطني والقومي في نفوس أبناء العراق وتحفيزهم لمواجهة سلطات الانتداب البريطاني ، وبث الأيمان بوحدة الأمة العربية بينهم .

وكان من أبرز ما يلاحظ على منهج الحصري التعليمي اهتمامه بالتأريخ واللغة العربية ، ولم يقتصر منهاجه على التعليم فحسب ، وإنما على الأتجاه القومي العروبي في العراق كله .

- عوامل تطور الكتابة التأريخية المعاصرة في الموصل

حظيت الموصل بعد الحرب العالمية الاولى وتشكيل الحكومة العراقية ١٩٢١ وتعاظم الحركة الوطنية بنخبة من المؤرخين الذين اتخذوا من التأريخ وسيلة من وسائل التوعية الوطنية والقومية . وفي الوقت نفسه أخذ هولاء المؤرخون على عاتقهم تحقيق التواصل مع مؤرخين الذين سبقوهم لا سيما في مجال التأريخ هذا التوجه وصدور كتابات متنوعة والتطرق إلى موضوعات دقيقة ومهمة لم نشهدها في المؤلفات التأريخية السابقة . وقد وقف وراء هذه النهضة التأريخية عوامل عدة أ برزها :

١- وجود تنظيمات سياسية وثقافية ، أهتمت في التاريخ وأحتضنت المؤرخين وشجعتهم على تأليف الكتب ونشر الدراسات التأريخية ، ومن هذه التنظيمات (جمعية العلم) ، (جمعية العهد) ، (النادي العلمي) ، (النادي الأدبي) و(نادي الجزيرة) .

٢- صدور صدور المجلات والصحف خلال الفترة ١٩٢٦-١٩٥٨والتي أهتمت بالدراسات التأريخية ومنها مجلة (المجلة) التي صدرت عام ١٩٣٨، وضعت هذه المجلة التاريخ في مقدمة اهتماماتها وخصصت فها صفحات خاصة بعنوان (صحيفة التأريخ) ، وأسهم في تحريرها عدد من من مؤرخي الموصل ، منهم سعيد الديوه جي وعبد المنعم الغلامي ومجيد خدوري .

٣- تنامي الأفكار الديمقراطية بعد الحرب العالمية الثانية وازديادعدد الدول المستقلة ،والأهتمام بارسال بعثات دراسية إلى الجامعات الأوربية والأمريكية للتخصص في مجال دراسة وتدريس التأريخ وتنامي دور المعاهد والجامعات والكليات العراقية، ومنها دار المعلمين العالية ، وكلية الأداب وعودت الطلاب المتخصصين بالتأريخ إلى العراق بعد انجاز دراساتهم العليا في أوربا ، وتأسيس اقسام متخصصة بالتأريخ وتطور البحث العلمي التأريخي لاسيما في مجال استخدام (التقنية) ، والسعي للحصول على الوثائق والمصادر الأساسية ودراستها وتحليلهاوتقديم دراسات علمية تهتم بتدقيق الحادثة التاريخية وتفسيرها وعرضها دون الألتزام بنظرية معينة .

- رواد الكتابة التأريخية المعاصرة في الموصل

ظهرت في الموصل مجموعتان من المؤرخين المعاصرين،تمثلت المجموعة الأولى بالمؤرخين غير الأكاديميين والذين أعتمدوا الكتابة التأريخية وسيلة من وسائل التثقيف والتوعية القومية دون التركيز على المنهجية العلمية .

وارتبطت هذه المجموعة بالحركة الوطنية العراقية ، وقد أهتم هولاء من خلال كتاباتهم التأريخية بأبراز ما تجاهله المؤرخون الغربيون ، لا سيما الأنكليز الذين درسوا

تـاريخ العـراق الحـديث مـن منطلقـات ومفـاهيم اسـتعمارية كـان مـن أبـرز أهـدافها طمـس التراث الوطني للعراق ، وقد تبنى هذا الاتجاه الوطني نوعاً من المنهج التركيز فيه على حركـة الاسـتقلال وإبـراز دور التنظيمـات السياسـية الوطنيـة ضـد المحتلـين ، والتعريـف بتأريخ الموصل .

ومع أن المؤرخين الذين اعتمدوا هذا الاتجاه من غير العاملين في الجامعات أو متخصصين بالتـأريخ قدموا دراسـات مهمـة اغنـت البحـث التـاريخي بالأحـداث التأريخيـة المهمة ، ومع عدم التزامهم بما عرف فيما بعد بـ (المنهج التـأريخي) العلمـي لاسيما من حيث مسح المصادر الاساسية واستخدامها ومحاولة تحليل المادة العلمية وتفسيرها . لـذلك اقتصرت كتاباتهم على الجوانب التسجيلية للعملية التأريخية ، وأفتقدت السياق الفكري الموحد ، ولكن هذا لا يمنعنا من القول أن مـا كتبـه ممثلوا هذا الاتجـاه مـن رؤيـة متميـزة ، فضلاً عن الحقائق التي اوردها تشكل بحق مجموعة قيمة من المعطيات المتعلقة بجوانب مـن تـاريخ الموصـل وتراثهـا ومؤسسـاتها القضـائية والأداريـة والمعماريـة والتعليميـة ، وكـذلك تركيبتهـا الأجتماعيـة ودورهـا فـي الحركـة الوطنيـة العراقيـة .امـا ابـرز رواد هـذا الاتجـاه فهـم : محمـد امـين العمـري وكتابـه (الحـرب العالميـة العظمـى ١٩١٤-١٩١٨) ، (مقـدرات العـراق السياسـية) ،عبـد المـنعم الغلامـي كتابـه (ثورتنـا فـي الشـمال)،وكتـاب اخرعن تاريخ الموصل(سوائح فـي الاحداث الوطنيـة) ، امـا سليمان صـايغ كتابـه(تاريخ الموصل ثلاثة اجزاء) ، صديق الدملوجي وكتابـه (اليزيديـة) (امـارة بهدينـان الكرديـة) ، داوود الجلبي ، احمد علي الصوفي وسعيد الديوه جي واخرون .

- مجموعة المؤرخين الأكاديميين :

بـرزت أهميـة هـذه المجموعـة بعـد الحـرب العالميـة الثانيـة ، لا سـيما علـى أثرعـودة طلائع البعثات العراقية التي ذهبت إلـى الغـرب وهـي تحمل درجـة علميـة متخصصـة فـي التأريخ والأداب ، وكأي حرفة لا بد من أن يمتلك صاحبها أدوات البحث فيهـا ، بـدأت هـذه المجموعة ، من خلال الكتب والدراسات إلتي أنجزتها في تكريس أسس الدراسـة المنهجيـة في التأريخ ، ومن ذلك التأكيد العودة إلـى الأصـول الأوليـة واسـتخدام قواعـد علميـة دقيقـة لتجميـع أثـار الحـدث التـأريخي ونقـده واعـادة تشـكليه كمـا وقـع أو قريبـاً ممـا حـدث دون الألتزام بتفسير أو نظرية جاهزة من تلك النظريات التي كانت سائدة انذاك ، وقد كان لهذه المجموعة فضل كبير في تطوير الكتابة التأريخية في الجامعات العراقية .

ومن بين رواد هذه المجموعة من المؤرخيين الذين إستطاعوا من تـرك لنـا بحـوث فـي مختلـف اختصاصـات البحـث التـأريخي والـذي اغنـت المكتبـات العراقيـة والعربيـة ، فضلاً عن مكـانتهم العلميـة فـي الجامعـات العراقيـة والعالميـة ومنهم الـدكتور صـالح احمـد العلي الذي عرف عن اهتمامـه بصـدر الاسـلام والتـاريخ الاقتصـادي والاجتمـاعي العربـي والـدكتور ياسـين عبـد الكـريم أل عبـاس واشـهر مؤالفاتـه (تفسـير التـأريخ) ،(التفسـير الاقتصـالدي) ، والدكتور عبد الجبار الجومرد الذي عايش كل أحداث الموصل وتأثر بكل ماكـان يسـود فيهـا مـن أجـواء قوميـة لاسيما مطالبـة تركيـا فـي الموصـل ، لـذلك أسـهم فـي الحملـة الوطنيـة لتأكيـد عروبتهـا ، وللجـومرد كتـاب مهـم فـي تـاريخ الموصـل بعنـوان (الموصـل والتـاريخ منـذ أقـدم العصـور حتـى اليـوم)، تميـزت كتاباتـه بسـيماتها القوميـة والتصدي لمحاولات الشعوبيين الانتقاص منها.

لم تتوقف حركة البحث التأريخي عند هولاء المؤرخون بل استمرت الموصل بأنجاب جيل أخرمن المؤرخيين عاصروا أحداث اخرى مرت بها الموصل والبلاد العربية منهم من رحل عنا وترك لنا أرث كبير من المؤلفات والبحوث ومنهم الدكتور عماد عبد السلام رحمه الله . والاخر لايزال قلمه يخط لناويذكرنا بمالا ينسى من تأريخنا المشرق ، ومنهم شيخ المؤرخين الموصليين الدكتورأبراهيم خليل احمد الذي ساهم في كتابة موسوعة الموصل الحضارية مع نخبة علمية كبيرة من اساتذة التاريخ المعاصرفي جامعة الموصل .

واخيراً لا بد من القول حرص المؤرخون الموصليون على الأهتمام بدراسة تاريخ وتراث مدينهم الموصل ذات التنوع الاجتماعي وتعدد قومياته واديانه ، وتأريخهم النضالي فحسب وانما في العراق والاقطار العربية المجاورة ، وظهرت دراسات عدة و تناولت تأريخ العرب ونظمهم السياسية والعسكرية واوضاعهم الأقتصادية ، والأجتماعية والثقافية . وحرص مؤرخوا الموصل بمنهج البحث التأريخي ومسائل تفسير التأريخ فكتبوا بحوثاً متميزة في هذا المجال اصبحت موضع تقدير واعتراف العديد من الباحثين والمؤرخين في الداخل العراق وخارجه .

أتمنى أن تكون هذه الورقة البحثية مساهمة متواضعة في مجال البحث التاريخي المعاصر